**مقياس علوم القرآن المحاضرة الأولى**

**تعريف القرآن الكريم:**

1. **في اللغة:**

ذهب البعض إلى القول بأن لفظ قرآن مصدر مرادف للقراءة استنادا إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾

وذهب آخرون إلى أن القرآن مأخوذ من القرء بفتح القاف وهو يعني الجمع، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، كأن نقول: "قرأ الماء في الحوض" إذا جمعه فيه «وعلى هذا الأساس يمكن أن تكون لفظة (القرآن) دالة على جمع الحروف والألفاظ والكلمات والآيات القرآنية، وضم بعضها إلى بعض عند التلاوة والترتيل».

وقال فريق من العلماء «بعدم اشتقاق القرآن، ذلك أنه خاص بكلام الله، وهو عند الإمام الشافعي غير مهموز، مثلما هو عند عبد الله بن كثير قارئ مكة، وأبي عمرو بن العلاء قارئ البصرة، وذلك الذي اختاره بعض الخلف من العلماء المحققين، منهم الإمام عبد الرحمن السيوطي في إتقانه».

لكتاب الله أسماء عدة يحمل كل منها معناه منها:

1. الفرقان: باعتبار الكلام الذي يفرق بين الحق والباطل، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾.
2. الكتاب: وهو الكلام المكتوب بين دفتي المصحف، وفيه يقول سبحانه وتعالى: ﴿[ألم](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya1.html)ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.
3. الذكر: وهو يعني العلاء والشرف[[1]](#footnote-1) وفي ذلك يقول عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.
4. **التنزيل:** من الفعل "نزل" بالإدغام أي أنزله تبارك وتعالى منجما تبعا للمناسبات والأحوال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وللقرآن أسماء أخرى كثيرة وصفه تبارك وتعالى بها منها أنه: نور، هدى، ورحمة، وشفاء، وكريم، ومبين، وموعظة، ومبارك، وبشرى، وبشير، ونذير، وعزيز.

1. **في الاصطلاح:**

«هو كلام الله المعجز المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام للتدبر والتذكر، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر».

هذا التعريف دقيق وجامع ب

حيث يحوي كل حقيقة لمفهوم الذكر الحكيم، وهذا الأخير معجز في كل كلمة بل وفي كل حرف، إذ ليس بإمكان أي أحد مهما أوتي من أساليب الفصاحة والبلاغة أي يأتي بمثله يقول تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

إن وصف القرآن بالمنزّل « مخرج لغير المنزل من كلام الله الذي استأثر به في نفسه أو اختص به بعض ملائكته ليعملوا بمقتضاه، وتقييد التنريل على محمد مخرج لسائر الكتب السماوية المنزلة على من جاء قبله من الرسل الكرام عليهم السلام كصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى».

ومن تعريف القرآن أنه متعبد بتلاوته أنّ التلاوة في حد ذاتها هي نوع من أنواع العبادة، يتقرب بواسطتها المسلم إلى الله فيكتب له المثوبة والفضل، وأي كلام آخر وإن أمكننا الاستفادة من معناه فإنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال التعبد بتلاوته.

ويعرف القرآن أيضا بأنه مكتوب في المصاحف، حيث أنه «كلما نزلت منه آية أو بضع آيات، أو سورة كانت تتسطر[[2]](#footnote-2) فيما كان يتيسر من وسائل الكتابة كالرقاع أو اللخاف[[3]](#footnote-3) أو الجلد»، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَالطُّورِ[وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura52-aya2.html)[فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura52-aya3.html)﴾.

والقرآن كذلك منقول بالتواتر، وذلك بأن يتلقاه الجمع العظيم عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ينقله جمع عن هذا الجمع، وهكذا حتى يصل إلينا كما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تبديل، ولا نقص ولا زيادة.

والنقل بهذه الطريقة هو السبيل لصيانة القرآن وحفظه على الوجه الذي أنزل عليه، وقد حفظه الله تبارك وتعالى من التحريف إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

**السورة:**

السورة في الأصل هي كل منزلة من البناء، والسورة من القرآن المنزلة بعد المنزلة وبينهما اتصال، وتجمع على سُوَر بضم الأول وفتح الثاني، وعلى سُورَات بضم الأول وسكون الثاني وفتحه (سُوَرات)، وقد سميت بذلك لشرفها وارتفاع منزلتها فهي كالسور ذلك البناء المرتفع البارز.

وتحديد معنى السورة ينطبق على مجموعة من الآيات ذوات فاتحة وخاتمة، تتفاوت في الطول والقصر والعدد. وذلك لحكم سامية أرادها الله تبارك وتعالى.

إن أول سورة نزلت بالمدينة هي سورة البقرة وهي أطول السور –على الإطلاق- فقد تضمنت مائتين وست وثمانين آية أو مائتين وخمس وثمانين آية على اختلاف في الروايات، أما أقصر سورة وردت في الذكر الحكيم فهي سورة الكوثر التي لا تتجاوز ثلاث آيات، ومجموع السور في القرآن مائة وأربع عشرة سورة، أولها سورة الفاتحة، وآخرها سورة الناس، هذا باعتبار ترتيب المصحف، أما باعتبار النزول فأولها سورة العلق وأخرها سورة التوبة.

وقد قسم القراء والمفسرين سور القرآن إلى أربع أقسام، معتمدين في هذا التقسيم على ما كثر وقل وما طال وقصر من الآيات، وما جاء في حديث مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم «أعطيت مكان التوراة السَّبع الطُّوال، وأعطيت مكان الزبور المِئِين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصَّل».

**القسم الأول:** السور الطوال، وهي سبع: البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنعام، والأعراف ويونس.

**القسم الثاني:** السور المئون وهي التي زاد عدد آياتها على مائة آية.

**القسم الثالث:** السور المثاني، وهي التي يقل آيها (أياتها) عن مائة آية، وسميت بالمثاني لأنها تثنى وتعاد وتكرر في التلاوة أكثر مما تثنى الطّوال والمئون.

**القسم الرابع:** المفصّل من السور، وهو أواخرها في ترتيب المصحف وأقسامه ثلاثة:

**القسم الأول:** سور طوال، وهي من أول سورة الحجرات إلى سورة البروج.

**القسم الثاني:** سور أواسط (متوسطة بن الطول والقصر)، وهي من أول سورة الطارق إلى أول سورة البنية.

**القسم الثالث:** سور قصار، وهي من سورة الزلزلة إلى سورة الناس.

ولكثرة الفصل بينها بالبسملة سميت هذه السور بالمفصل.

**الحكمة من تسوير السور:**

-التيسير على الناس وتشويقهم إلى مدارسة القرآن وحفظه لأنه لو كان سبيكة واحدة لا حلقات بها لصعب عليهم حفظه وفهمه، وأعياهم أن يخوضوا عباب هذا البحر الخِضَمِّ.

-الإشارة إلى أن طول السور ليس شرطا في إعجازها، بل هي معجزة وإن بلغت الغاية في القصر كسورة الكوثر.

و من الفوائد «أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف، كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحدا، ومنها أن القارئ إذا أتم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا (الفرسخ جمع فراسخ: الطويل من الزمان) نفَّس ذلك عنه ونشط للسير، ومن ثم جزئ القرآن أجزاء وأخماسا».

إلى غير ذلك من الفوائد التي لا يمكن إحصائها.

**الآية:**الآية لغة: العلامة والسمة، قال صلى الله عليه وسلم: « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ , وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ , وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »، أي أن علامة الذي يخفي الكفر ويظهر الإسلام هذه الصفات الثلاث.

يختلف معنى الآية في القرآن الكريم، ويتعدد وذلك بتعدد واختلاف سياق الكلام القرآني والهدف الرباني، فتارة تأتي بمعنى:

**المعجزة:** ومنه قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ ،أي معجزة واضحة، وتارة تأتي بمعنى:

**العلامة:** ومنه قوله تعالى: ﴿[وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya248.html) ﴾ أي علامة ملكه. وتارة تأتي بمعنى:

**العبرة:** ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي عبرة لمن يعتبر. وقد تأتي بمعنى:

**الأمر العجيب:** ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿[وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura23-aya50.html) ﴾.أي أمرا عجبا. كما قد يجيء بمعنى:

**الجماعة:** ومنه قولهم: خرج القوم بآياتهم أي بجماعتهم، والمعنى أنهم لم يدعوا وراءهم شيئا. وقد ترد أيضا بمعني:

**البرهان والدليل:** نحو قوله جل وعلا: ﴿[وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura30-aya22.html)﴾.والمعنى أن من براهين وجود الله واقتداره واتصافه بالكمال خلق عوالم السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان.

تتفاوت الآيات بين القصر والطول فقد تقصر الآية بحيث تضم كلمة واحدة نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ و ﴿[مُدْهَامَّتَانِ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura55-aya64.html)﴾، أو كلمتين، نحو قوله تبارك وتعالى:﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾.

وقد تطول فتحوي كلمات عديدة مثل آية المداينة حيث يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰأَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

**مقياس علوم القرآن المحاضرة الثانية**

**تاريخ نزول القرآن:**

لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أشدَّه واستوى، وقطع أربعين ربيعا، اتخذه الله تبارك وتعالى رسولا للعالمين، وأوحى إليه كما أوحى إلى الأنبياء من قبله، قال جل وعلا: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

والمعروف لدى العلماء أن نزول القرآن الكريم قد كان على مرحلتين اثنتين: سماوية مجملة وأرضية منجمة.

1. **المرحلة السماوية:**

المشهور المعتمد لدى علماء السّلف والخلف أن القرآن الكريم نزل دفعة واحدة إلى بيت العزة بالسماء الدنيا، وذلك في ليلة القدر المتلمَّس وجودها في العشر الأواخر من شهر رمضان في أشهر الأقوال، قال تبارك وتعالى﴿[شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya185.html)﴾، وقال أيضا: ﴿[حم](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura44-aya1.html)وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ[إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura44-aya3.html)﴾، وقال كذلك: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

قال **عبد الرحمن السيوطي:** «اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال: أحدها –وهو الأصح الأشهر- أنهنزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة».

وقد أشار **السيوطي** إلى حكمة إنزال القرآن جملة، فقال: «السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من تنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، وقد قربناه إليهم لننزله عليهم».

وفي إنزاله إلى السماء الدنيا إلهابا لشوق النبي صلى الله عليه وسلم إليه على حد قول القائل:

وَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا إِذَا دَنَتِ الْخِيَامُ مِنَ الْخِيَامِ

1. **المرحلة الأرضية:**

بُدئ الرسول صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة قبيل نزول الوحي عليه فكان «لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»، كما قالت عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها-، «وفي اليوم السابع عشر الموافق -في أصح الأقوال- ليوم الاثنين من شهر رمضان لسنة إحدى عشر وستمائة للميلاد بدأ ينزل عليه الوحي، وهو يتعبد في غار حراء بمكة المكرمة، كعادته في كل شهر من كل سنة وذلك عندما أتم أربعين سنة من عمره، عليه الصلاة والسلام».

إن أول سورة نزلت بالمدينة المنورة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إليها هي "سورة البقرة" –في أصح الأقوال-، وآخر سورة نزلت من القرآن هي "سورة التوبة" –في أشهر الأقوال-.

واختلف العلماء في تعيين آخر آية نزلت من القرآن على الإطلاق، واستند كل منهم إلى آثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا من دواعي الاشتباه واللبس، وكثرة الخلاف على أقوال متعددة.

**الأول:** أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

**الثاني:** أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya278.html)﴾.

**الثالث:**أن آخر ما نزل آية "الدين" أو "المداينة وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ َيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾إلى قوله سبحانه:﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

والمتمعن في هذه الآيات الثلاث سيجد أن النفس تستريح إلى الآية التي ذكرت في القول الأول وذلك لأمرين: «أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد، وما تنوه به من الرجوع إلى الله، واستيفاء الجزاء العادل من غير ظلم، وذلك أنسب بالختام، ثانيهما: أن الروايات تقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها تسع ليال فقط».

أنزل القرآن إذن، في شهر رمضان –كما أسلفنا الذكر- ولذلك فلهذا الشهر عند الله شأن عظيم، فقد روي أن كل الكتب السماوية نزلت في شهر رمضان لقوله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

وفي الذكر الحكيم ما يدل على أن القرآن الكريم نزل منجما، وأن الكتب السماوية الأخرى نزلت دفعة واحدة، قال تبارك وتعالى: ﴿[وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura17-aya106.html)﴾. وقال تبارك وتعالى أيضا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.

**أسرار تنجيم القرآن:**

نزل القرآن مفرقا بحسب الحاجة، أحيانا تكثر الآيات المنزلة وأحيانا تقل، وظل القرآن هكذا ينزل نجوما ، وراح يتدرج مع الأحداث والواقع المسايرة لحياة الإنسان الفردية منها والاجتماعية.

وقد أفاض العلماء الحديث عن أسرار تنجيم القرآن ومما قالوا:

**أولا:** لحكمة جليلة أرادها الله تبارك وتعالى، لاقىالرسول صلى الله عليه وسلم من أنواع العذاب ما لاقى من أجل تبليغ رسالة ربه، وكان في تتابع نزول الآيات عليه ما يساعده ويعينه على التحمل والصبر.

من هذه الآيات مثلا قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ[وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura50-aya40.html) ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ[إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura15-aya95.html)[الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura15-aya96.html)[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura15-aya97.html)[فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura15-aya98.html) [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura15-aya99.html)﴾.

ولو أن القرآن نزل كله جملة واحدة، وانقطع بعد ذلك الوحي لشعر الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحشة والغربة «ومهما يكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوتي من العزيمة والصبر، فإن لبشريته أيضا أثرا بينا في حياته ما دام بشرا».

**ثانيا:** لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة والكتابة كان لابد من نزول الآيات بتدرج وخلال فترات متقطعة من الزمن، حتى يتمكن من حفظ ما ينزل عليه وأن يستوعبه بيسر، وكان عليه الصلاة والسلام كلما نزلت عليه آية أخذ في تكرارها والاستعجال إلى حفظها وتحريك لسانه بها خشية نسيانها إلى أن نزل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura75-aya17.html)﴾.

**ثالثا:** إن في كل نوبة من نوبات هذا النزول المنجم معجزة جديدة حيث تحداهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من نُوَب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة**.**

**رابعا:** تعهد الله إياه عند اشتداد الخصام بينه وبين أعدائه بما يهون عليه هذه الشدائد، ولا ريب أن تلك الشدائد كانت تحدث في أوقات متعددة، فكلما أحرجه خصمه سلاه ربه.

**مقياس علوم القرآن المحاضرة الثالثة**

**الوحي في القرآن:**

**كيفية نزول الوحي:**

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنه يكلم رسله بثلاث كيفيات هي: الوحي، أو من وراء حجاب، أو بواسطة الملائكة، وهذا في قوله تعالى: ﴿[وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura42-aya51.html)﴾.

والوحي كما عرفه **الرازي**: **«**هو إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء كالإلهام، وإنزال الملك، ويكون ذلك في سرعة، من قولهم الوحي الوحي».

ويأتي على أنواع شتى:

منه ما يكون مكالمة بين العبد وربه، كما كلم الله موسى تكليما، ومنه ما يكون إلهاما يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعا، ولا يجد فيه شكا، ومنه ما يكون مناما صادقا يجيء في تحقُّقِه ووقوعه، كما يجيء الصبح في سطوعه وإشراقه، ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل –عليه السلام- وهذا النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura26-aya193.html)[عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura26-aya194.html)[بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura26-aya195.html)﴾.

ثم إن ملك الوحي يهبط هو الآخر على أساليب شتى؛ فتارة يظهر للرسول في صورته الحقيقية الملكية، وتارة يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه، وتارة يهبط على الرسول خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر التغيُّر والانفعال على صاحب الرسالة فيغطّغطيط النائم، ويغيب كأنما أغمي عليه، وما هو بإغماء ولكنه استغراق في لقاء الملك الروحاني، وغياب تام عن الحالة البشرية العادية، فيثقل جسمه وقد يتصبب جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد، وقد يكون وقع الوحي على الرسول كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وقد يسمع الحاضرون صوتا عند وجه الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه دوي النحل، ولكنهم لا يفقهون منه شيئا.

أما هو -صلوات الله وسلامه عليه- فإنه يعي ما يوحى إليه ويعلم أن هذا هو وحي الله من غير شك ولا ارتياب، فإذا انجلى عنه الوحي وجد ما أوحي إليه حاضرا في ذاكرته، كأنما كتب في قلبه كتابة.

والأدلة الشرعية على ما ذكرنا كثيرة في الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ[إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ](http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura53-aya4.html)﴾.

ومنها الحديث الذي يرويه البخاريفي صحيحه عن عائشة أم المؤمنين–رضي الله عنها- أن الحارث بن هشامسأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول كيف يأتيك الوحي؟فقال:"أحيانايأتيني\_يعني الوحي\_في مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه عليَّ فيُفْصَمُ عنّي وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لِيَ الملَكُ رجلا فيكلِّمني فأعي ما يقول".

أضف إلى ذلك أننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتي بعجائب الأنظمة والأعمال، مما يجعلنا نوقن بأنها لم تصدر في ذلك إلا عن إرادة عليا، توحي إليها وتلهمها تلك العجائب والغرائب من الصناعات والأعمال.

**الأحرف السبعة:**

لقد صح القول عن الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن على سبعة أحرف، وقد روى هذا القول الصحيح مجموعة من الصحابة بصيغ عديدة.

قال رسول صلى الله عليه وسلم: «أقرأَني جبريلُ القرآن على حرفٍ، فراجَعتُه، فلم أزل أستَزيدُه، فيزيدُني حتى انتهى إلى سبعةِ أحرفٍ».

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: «أُنْزِلَ القرآن من سَبْعة أبوابٍ على سبعةِ أحرفٍ كلُّها شافٍ كافٍ».

وعن عمر بن الخطابأنه قال: «سمعت "هشام بن حكيم بن حزام" يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيهارسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أُساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلبَّبْتُه بردائه، فقلت: من أَقْرَأَكَ هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أرسله، اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه».

أما النص الأول فيدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد كان على علم ومعرفة بلغات العرب ولهجاتهم البدوية منها والحضرية، وإلا لما كان يراجع جبريل فيما كان يقرئه، ولا كان يستزيده من أحرف القرآن.

وأما النص الثانيفمعناه أن القرآن الكريم قد ظهر في ترتيب ألفاظه وأسلوب آياته من سبعة أبواب من أبواب الفصاحة والبيان العربي، وأن كل حرف من الأحرف السبعة المنزل عليها شاف من حيث ترتيب اللفظ المفهومي كاف من حيث أداء المعنى المقصود، وذلك من إعجاز القرآن مبنى ومعنى.

أما النص الثالث فيبين أن الأحرف السبعة مسموح بالقراءة بها جميعا، ولكل قارئ ما تيسر له منها، وهذه الأحرف ليست محصورة في لغة قريش –كما يظن البعض- بل هي موزعة على جميع لغات العرب بدون استثناء، بدليل أن عمر بن الخطابقد أنكر قراءة هشام بن حكيم، ولو كانت الحروف التي قرأ بها قرشية النزعة ما أنكرها عمر الذي هو من فصحاء قريش.

ما هي الأحرف السبعة؟ وما معنى أن القرآن أُنزل على سبعة أحرف؟

الأحرف: مفرد حرف، وهو لغة طرف الشيء، وحدُّه وجانبه، أما معناه فيما يخص قراءة القرآن به، فقد أحصى العلماء له قرابة أربعين معنى، ولم يتفقوا على واحد منها. وقد حصر أكثرهم مفهوم هذه الأحرف في سبع صيغ، عربية التركيب، فصيحة المخارج، متحدة المعنى، مختلفة المبنى كليا أو جزئيا، وبتعبير آخر إنها صيغ متفقة المفهوم، مختلفة المسموع.

وقد استدل أنصار هذا الحصر بعدة آيات، قرئت بصيغ مختلفة، مع أن معناها واحد. كقراءة أنس بن مالك﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، فقال له بعض القوم: يا حمزة إنما هي: "َأَقْوَمُ" فقال: "َأَقْوَمُ، وَأَصْوَبُ، وَأَهْيَأُ وَاحِد".

وكقراءة عبد الله بن عباس: "ارْشُدْنَا" بدل "اهْدِنَا"، وكقراءة عبد الله بن مسعود: "أمهلونا وأخِّرونَا" بدل "انظُرُونَا" ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

وكقراءة أبي بن كعب: "مرّوا فيه"، "وسعوا فيه" بدل "مشوا فيه" ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾.

والحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف تتماشى مع تعدد لغات العرب ولهجاتهم، من حيث اختلاف مباني الكلمات، واتحاد المعاني فيها، حتى يتيسَّر لكل قبيلة منهم أن تفهم معاني القرآن المنزل بلسان عربي مبين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

وقال تبارك وتعالى أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

**مقياس علوم القرآن المحاضرة الرابعة**

**المكي والمدني:**

من جملة ما اهتم به العلماء المسلمون من علوم القرآن هو جانب المكي والمدني فيه، حيث اصطلح جمهور العلماء على تسمية ما نزل من القرآن قبل الهجرة النبوية بـ "المكي" نسبة إلى مكة المكرمة، وما نزل منه بعدها بـ "المدني" نسبة إلى المدينة المنورة، فالنسبة في ظاهر اللفظ مكانية، وهي في حقيقة الأمر زمانية.

فعلى هذا الأساس المصطلح عليه يعدّ كل ما نزل قبل هجرته –عليه الصلاة والسلام- من مكة إلى المدينة مكيا، سواء كان ذلك النزول بمكة نفسها أو بضواحيها أو بعيدا عنها: كبيت المقدس مثلا؛ بل سواء كان ذلك النزول أرضيا أو سماويا كنزول آيات الصلوات الخمس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في السموات العلى ليلة الإسراء والمعراج ويعد كل ما نزل بعد الهجرة مدنيا؛ سواء كان ذلك بالمدينة نفسها أو بضواحيها أوبعيدا عنها.

وتمييز المكي من المدني والمدني من المكي يعتمد على وسيلتين اثنتين:

**الوسيلة الأولى:** الرواية والنقل،ولم يرد نص في هذا الشأن عن رسول الله عليه الصلاة والسلام بل كل ما في ذلك فإنه وارد عن الصحابة والتابعين لهم. قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه-: «والله الذي لا إله غيره، ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه».

وجاء في كتاب الإتقان لعبد الرحمن السيوطي أن رجلا سأل عكرمة–رضي الله عنه- عن آية من القرآن فقال: «نزلت في سفح ذلك الجبل، وأشار إلى سلع».

**الوسيلة الثانية:** الاجتهاد بالرأي، وقد اعتمد أصحابه على ما تضمنته الآيات القرآنية من خصائص اهتدوا بها إلى تمييز ما هو مكّي مما هو مدني.

**خصائص كل من الآيات المكية والمدنية:**

1. **خصائص الآيات المكية:**
2. الدعوة إلى التوحيد، وإثبات الرسالة والبعث، وذكر القيامةوهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها.
3. وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل التي يقوم عليها المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.
4. ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرا للكافرين حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.
5. قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة بما يَصِخُّ الآذان، ويشتدّقرعه على المسامع، ويصعق القلوب.
6. كل سورة فيها سجدة فهي مكية.
7. كل سورة فيها لفظة "كلا" فهي مكية.
8. كل سورة فيها جملة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وليس فيها جملة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مكية، ما عدا سورة الحج فقد جاء في الآية السابعة والسبعين منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.
9. كل سورة تُفْتَتَحُ بحروف التهجي كـ "ألمّ، ألر" ونحو ذلك فهي مكية ما عدا الزهراوين (سورة البقرة وآل عمران)، وقد جرى خلاف بين العلماء فيما يخص سورة الرعد، هل هي مكية أم مدنية؟
10. كل سورة فيها قسم يترجح مكيتها.
11. **خصائص الآيات المدنية:**
12. بيان العبادات، والمعاملات والحدود، والمواريث، وفضيلة الجهاد، ونظام الأسرة، وصلات المجتمع والدولة، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.
13. مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنِّيهم على الحقِّ، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.
14. الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيَّاتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدِّين.
15. طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشَّريعة، ويوضِّح أهدافها ومراميها.

**الفائدة من معرفة المكي والمدني:**

تتوقف فوائد عملية كثيرة على معرفة المكي والمدني من القرآن أهمها:

1. معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن، وهو موضوع عظيم الشأن والأهمية، وثيق الصلة بتفسير القرآن والوقوف على مقاصده وأحكامه.
2. إن معرفة المكي والمدني في القرآن تعين على معرفة مواقع النزول، ومن ثم الكشف عن أسباب النزول للسور والآيات، ومعرفة المعاني المقصودة من ورائها، فمن قرأ سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ولم يعلم زمن نزولها وهل هي مكية أم مدنية، فإنه يحار في معناها، وقد يفهم من ورائها أن المسلمين لا يكلفون بالجهاد في أي الأحوال وإنما عليهم أن يقولوا للآخرين: لكم دينكم ولي ديني، فإذا علم أن هذه السورة إنما نزلت في مكة، عندما قال بعض صناديد الشرك لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تعال يا محمد نعبد إلهك يوما وتعبد إلهنا يوما إذا علم هذا، أدرك أن هذه السورة إنما هي علاج لتلك المرحلة ذاتها، وليست دليلا على عدم مشروعية الجهاد الذي نزلت فيه آيات كثيرة أخرى في المدينة.
3. الكشف عن مجريات السيرة النبوية والزيادة في وضوحها للباحثين والمؤرخين أو الذين يهتمون بالتصنيف في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتسنى لهؤلاء العلماء أن يقفوا على ذلك من خلال دراسة الآيات والسور المكية والمدنية على حد سواء.

**أسباب النزول:**

إن الدارس لأي ظاهرة من الظواهر لا يستطيع أن يحكم عليها إلا إذا عرف الأسباب والمقدمات التي أدت إلى نشوء كل ظاهرة من تلك الظواهر.

ودراسة القرآن تشبه دراسة كل الموضوعات الأخرى، إذ لا تستقيم حتى تعرف المبادئ الأولى للنص، لهذا عكف العلماء على معرفة أسباب نزول كل آية معرفة دقيقة موثوقة، ليتمكنوا من تفسيرها التفسير الصحيح، ولينطلقوا إلى استخلاص الأحكام الشرعية على أساس ثابت.

ومن المعلوم أن القرآن من حيث نزوله كان قسمين: أولهما ما كان ينزل بمبادرة ربانية غير مسبوقة بسبب من الأسباب التي تقتضي النزول كواقعة من الوقائع أو سؤال من الأسئلة، ثانيهما ما كان ينزل تبعا لواقعة من الوقائع أو سؤال يطرحه المسلمون أو غيرهم. وهذا القسم يمثل شطرا عظيما من القرآن، ولا يمكننا تفصيل القول في هذين القسمين وإنما سنقتصر على بعض النماذج للتمثيل، ولإدراك قيمة معرفة أسباب النزول، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

لقد فهم بعض الناس من ظاهر الآية جواز التوجه إلى الشرق أو الغرب حين الصلاة، فالله في كل الجهات، والصلاة إلى كل جهة جائزة، إن فهم أولئك الناس من ظاهر الآية صحيح ولكن الصلاة إلى غير القبلة غير جائزة، والسبب في ذلك أن الآية المذكورة نزلت في سبب خاص، ووضع معين، ذلك أن جماعة كانوا في سفر، وأقبل عليهم الليل، واشتد عليهم الظلام، وأراد كل منهم الصلاة، فاجتهد، وعين جهة، وصلى نحوها.

وتبين أن كلا منهم توجه إلى غير الجهة التي توجه إليها صاحبه، وأصبح الصباح، فأدرك بعضهم أن اجتهاده قاده إلى الخطأ في تعيين القبلة، وجاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقصوا عليه خبرهم، فنزلت الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

إذن فمعرفة سبب نزول هذه الآية يجعل حكمها يختلف عن الحكم الذي يكون عند الجهل بسبب النزول، فالمجتهد في تحري القبلة تصح صلاته، ولا تجب عليه إعادتها إذا تبين له فيما بعد خطأ اجتهاده، أما غير المتحري وغير المجتهد فعليه إعادة الصلاة.

ونورد مثالا آخر للتدليل على أهمية معرفة سبب النزول، قال تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فقراءة هذه الآية دون معرفة سبب نزولها تدفع القارئ إلى الظن بأن شرب الخمر مباح، ولكن إذا علم أنه لما نزل تحريم الخمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.تساءل بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن استشهدوا في سبيل الله وكانوا يتعاطونها وهي رجس، فنزلت الآية الكريمة تبين أن من شربها قبل التحريم، فإن الله غفور رحيم.

ومثال ثالث على أهمية العلم بسبب النزول: أُشكل على **عروة بن الزبير** –رضي الله عنه- معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، فظاهر الآية الكريمة يشير إلى عدم وجوب السعي بين الصفا والمروة، حتى قال **عروة بن الزبير** لخالته **عائشة أم المؤمنين**–رضي الله عنها-: يا خالة! إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فلا بأس إذن على الإنسان أن يتخلى عن السعي بينهما، فقبحت عائشة –رضي الله عنها- قوله وقالت بأنه لو كان الأمر كذلك لقال تبارك تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلاَّ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ... ثم أخبرته بأن الناس في الجاهلية كانوا يسعون بين الصفا والمروة، وكانوا يحجون في سعيهم لصنمين أحدهما على الصفا يسمى "إسافا" والثاني على المروة ويسمى "نائلة"، فلما دخل الناس في الإسلام تحرج بعض الصحابة من السعي بينهما خشية أن يلتبس الأمر بعبادة الجاهلية، فقد ردت **عائشة أم المؤمنين**  -رضي الله عنها- على **عروة** فهمه وكان ذلك بسبب معرفة النزول.

**كيف يُعرف سبب النزول:**

يتبين لنا من خلال الأمثلة السابقة أن أسباب النزول لا يمكن أن تدرك بالرأي، بل لابد فيها من الرواية الصحيحة والسماع ممن شاهدوا التنزيل، أو وقفوا على الأسباب، وبحثوا فيها من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن اكتسبوا علومهم على أيدي العلماء الموثوقين، ويعتمد في معرفة سبب النزول على النقل الصحيح، فإذا صرح الراوي بلفظ السبب فهو نص صريح فيه كقول الراوي: سبب نزول الآية كذا وكذا، وكذلك إذا أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول كقوله: حدث كذا، أو سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كذا فنزلت ... فهذا نص صريح في سبب النزول أيضا.

وقد لا تكون الصيغة صريحة في ذكر السبب كقولهم: "نزلت هذه الآية في كذا" فقد يراد منه سبب النزول، وقد يراد ما تضمنته الآية من أحكام، فيكون مثل قوله: عنى بهذه الآية كذا....

قال ابن تيمية:" قولهم "نزلت هذه الآية في كذا" يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب فيه".

**الناسخ والمنسوخ:**

روي عن **علي بن أبي طالب** –رضي الله عنه- أنّه مر على قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت.

للنسخ معان عدة في اللغة وفي الاصطلاح، أما في اللغة فله معنيان، الأول هو النقل، وذلك كنقل النص من الكتاب، وإخراج نسخة جديدة منه، والقرآن كما قال **القرطبي** بهذا المعنى كله منسوخ من اللوح المحفوظ، منقول عنه والمعنى الثاني هو إزالة الشيء وإبطاله، وهو قسمان: الأول إزالة الشيء من مكانه وحلول غيره محلّه، كقولهم: نسخت الشمس الظل أي أزالته وحلّت محله ومنه قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

والثاني إزالة الشيء وإبطاله دون إحلال شيء محلّه، كقولهم: نسخت الريح الأثر، أي أزالته وأذهبته، دون أن تحل محلّه.

وأما النسخ في الاصطلاح فهو: "رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر".

ويطلق النّاسخ على الله جلّ وعلا بدليل قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

كما يطلق لفظ الناسخ على الآية، فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، ويطلق كذلك على الحكم فيقال: هذا الحكم ناسخ للحكم كذا.

والمنسوخ هو الحكم المرتفع، فالآية القرآنية مثلا:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، منسوخة بآية المواريث.

وتجدر الإشارة إلى أن النسخ لا يكون إلا في الأحكام الفرعية العلمية من أوامر أو نواه، ولا يكون في أصول العقائد وأمهات الفضائل والأخبار.

أما أصول العقائد فلأنها حقائق ثابتة كوحدانية الله تعالى، والإيمان باليوم الآخر ونحو ذلك، وأما أمهات الفضائل والأخلاق فلظهور مصلحتها كبرّ الوالدين، والأمانة والحفاظ على العهد، والصدق في القول، وأما الأخبار فلاستحالة كذب الله تعالى في إخباره.

ولقد اتفق العلماء على أن النسخ أربعة أقسام:

**القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن**

وهذا القسم اتفق العلماء على جوازه، فآية الاعتداد بالحول نسخت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرة أيام والآية الأولى المنسوخة هي قوله تبارك وتعالى:﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، والآية الناسخة هي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

**القسم الثاني: نسخ السنة بالقرآن**

وهذا القسم أجازه جمهور العلماء كذلك، فتوّجه المصلين إلى بيت المقدس كان ثابتا بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بالقرآن في قوله تعالى:﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ووجوب صوم يوم عاشوراء كان ثابتا بالسنة، ونسخ بقوله تعالى:﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

**القسم الثالث: نسخ القرآن بالسنة**

وقد وقع الخلاف بين العلماء فيما يتعلق بالسنة الأحادية والسنة المتواترة، وانتهوا إلى منع نسخ القرآن بالسنة الأحادية، لأن القرآن متواتر ويفيد اليقين، والسنة الأحادية تفيد الظن، ولا يصح رفع المعلوم وإقامة المظنون، لأن المعلوم قطعي الثبوت بينما المظنون فهو ظني الثبوت.

أما نسخ القرآن بالسنة المتواترة فأجازه **مالك** و**أبو حنيفة** و**أحمد بن حنبل** في رواية، محتجين بأن الكلّ وحي، ومنعه آخرون محتجين بقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ وأن السنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله.

**القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة**

وينضوي تحت هذا القسم أربعة أنواع:

1. نسخ متواترة بمتواترة.
2. نسخ آحاد بآحاد.
3. نسخ آحاد بمتواترة.
4. نسخ متواترة بآحاد.

والثلاثة الأولى أجيزت، أما النوع الرابع ففيه خلاف، والأصح عدم جوازه، وقد أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين على جواز النسخ ووقوعه.

فالله سبحانه وتعالى ينسخ ما يشاء من الشرائع السابقة، ومن الآيات المتلوة، ومن الأحكام المبرمة، بخير منها أو مثلها.

1. [↑](#footnote-ref-1)
2. تتسطر (تكتب في سطور). [↑](#footnote-ref-2)
3. الرقاع: (القطعة من الورق التي تكتب)، اللخاف: الواحدة لخفة، حجارة بيض رقاق. [↑](#footnote-ref-3)